The Principle of Complementarity between Individual and Collective Breeding Individuals in Islam

Dr. Abeer Fareed Abu-Baker
Department of Religion and call
College of Sharia and Islamic Studies
University of Kuwait - Kuwait
abeer602@gmail.com

Received 13/10/2011 Accepted 30/10/2013

Abstract

Characteristics of Islamic upbringing that it depends on the integration of individual and collective in the breeding of individuals.

This research highlights this property for the upbringing of Muslim in two chapters, presented in the first definition of the concept of formation of individual and collective, and an explanation of the pillars for each of them in Islam, and in the second chapter explained the characteristics that have characterized both the education of individual and collective, and then the end of the research was the conclusion that included the most important findings and recommendations.

التكامل بين الفردية والجماعية في التربية الإسلامية

د. عبير فريد سمارة أبوبكر
قسم العقيدة والدعوة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الكويت – الكويت
abeer602@gmail.com

تاريخ استلام البحث ٢٠١١/١٠/١٣ تاريخ قبول البحث ٢٠١٤/١٠/٣٠

الملخص

إن من خصائص التربية الإسلامية اعتمادها مبدأ تحقيق التكامل بين الفردية، والجماعية في تربيتها للأفراد.

وقد عرض البحث هذه الخاصية للتربية الإسلامية عبر مبحثين، قدَّم في الأول من خلال المطلب الأول بياناً لمفهوم التربية الفردية، والجماعية، ثم في المطلب الثاني، تناول شرحاً لركائز كل منهما في الشرع، وعَدَّدَ في المبحث الثاني عبر ثلاثة مطالب الخصائص التي تميّزت بها كلا من التربية الفردية، والجماعية، ومعالم التكامل بينهما، ثم ذُيِّل البحث بخاتمة دُوِّن فيها أهم النتائج والتوصيات.

المقدمة

الحمدَ لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة، على المبعوث رحمة للعالمين محمد–صلى الله عليه وسلم– وأتم التسليم عليه، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحبه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ المُتأمل في الحركة العِلمية المعاصرة، لَيَلْحَظ اهتماماً مُتميزاً بموضوع التربية، حتى أنه يمكن تسمية العصر الذي نعيش، بعصر التربية، فقد أنتجت الكلّيات العلمية، والمراكز البحثية المختصة في المجال التربوي، كماً كبيراً من الدراسات في موضوع التربية.

وإنه رغم غزارة الإنتاج التربوي، فإن هناك موضوعات تفصيلية في هذا المجال لازالت تحتاج إلى مزيدِ دراسة وتأصيل، وهذه الدراسة تدرس في أحد هذه الموضوعات تحت عنوان:

هدف البحث

تقديم دراسة تأصيلية علمية شرعية لموضوع التكامل بين الفردية والجماعية في العملية التربوية.

سبب اختيار الموضوع

ما نشهد من فشل في بعض مخرجات العملية التربوية، والتي من أحد أسبابها عدم تحقيق التكامل بين الفردية، والجماعية في التربية.

مشكلة البحث

وجود مدرستين في التربية هما الفردية والجماعية، مما يضع المُهتم بالشأن التربوي أمام حَيْرة بأيهما يأخذ، وهذه الدراسة ستساعده من خلال الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما مفهوم التربية الفردية والجماعية؟
- ما ركائز الفردية والجماعية في الشرع؟
- كيف تم تحقيق التكامل بين الفردية والجماعية؟

منهج البحث

الاستقرائي: استقراء– قدر الاستطاعة– النصوص الشرعية، والكتابات التربوية المتعلقة بموضوع الدراسة.

التحليلي: تحليل المادة المستنبطة من النصوص.

الوصفي: ترتيب ما حُلِّل من مادة علمية، وتوصيفها في هيكلية مناسِبة.

خطة البحث: جرى تقسيم البحث حسب الآتي:

المبحث الأول: (مفهوم التربية الفردية، والجماعية، وركائزهما الشرعية).

المطلب الأول: مفهوم التربية الفردية والجماعية:

أولاً: مفهوم التربية:

لغة: ترجع كلمة التربية إلى ثلاثة أصول لغوية، هي: مادة "ربب"، و"ربوَ"، و"ربيَ"، وتحمل عددا من المعاني، منها: الزيادة، التنشئة، الإصلاح، التغذية، القيام على الشيء، وضم الشيء للشيء، قال ابن فارس: " رب: الراء والباء يدل على أصول: الأول: إصلاح الشيء والقيام عليه، الثاني: لزوم الشيء والإقامة عليه، الثالث: ضم الشيء للشيء".[1] قال ابن سيده: " ربب: منها ربَّ الصبيَّ تربيةً، إذا أحسن القيام عليه، ووليه حتى يُفارق الطفولية، كان ابنه أو لم يكن".[2]

١معجم مقاييس اللغة–٢/ ٣٨١–٣٨٢.

٢المحكم والمحيط الأعظم–١٠/٢٣٤–٢٤١.

اصطلاحا: تعددت التعريفات من أهل الاختصاص لمصطلح التربية، وتنوعت بحسب المجالات التي اهتم بها واضعوها، ومن تلك التعريفات: التربية هي الرعاية الشاملة، والمتكاملة لشخصية الإنسان من جوانبها الأربعة الجسدي، والنفسي، والعقلي، والاجتماعي بهدف إيجاد فرد متوازن يستطيع إصابة قوته واستمرار حياته والتكيف مع بيئتيه الطبيعية والاجتماعية.[1] ومما عرفت به التربية الإسلامية أنها: التنظيم النفسي والاجتماعي الذي يؤدي إلى اعتناق الإسلام، وتطبيقه كُلياً في حياة الفرد والجماعة.[2]

ثانياً: مفهوم التربية الفردية:

لغة: الفردية من الفرد، و الفرد تعني الواحد.[3]

اصطلاحاً: تُطلق التربية الفردية على نمطين من التربية:

- الأول: يُراد به التربية المُوجّهة نحو واحدٍ من الأفراد، وهذا النمط يستلزم مُرْسِلا ومُستقبِلا.
- الثاني: قيام الفرد على تربية نَفْسه، وفي هذه الحالة يكون المُرْسِل والمُستقبِل واحدا، ويُطلق بعض مختصي التربية اسم التربية الذاتية على هذا النمط من التربية، والذاتية في اللغة: أصلها من "ذو"، بِمَعْنَى: صَاحِب، قال تعالى: {وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ}[ص : ١٢]، والتأنيث منها "ذات"، قال تعالى:{وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}[البروج : ١]، وتأتي بمعنى حقيقة الشيء وماهيته، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}[آل عمران : ١١٩]، واستعمال "ذات" على ما سبق يَقْتَضِي مُضَافًا إِلَيْهِ، واسْتُحْدِث في العرف استعمالها كاسم مستقل تام غير مقتض لما سواه للتعبير عن النَّفْسِ وَالشَّيْءِ.[4]

والمقصود بالتربية الفردية في هذا البحث هو النمط الثاني، حيث يقوم الفرد على بِناء نَفْسه.

بعد هذا البيان لمفهوم التربية والفرد فإنه يمكن القول: إن التربية الفردية هي: عملية مخططة منظمة مصدرها الفرد ذاته، تهدف إلى تحقيق النمو الصحيح المتكامل للروح والجسم، ليصبح قادرا على التكيف، مع نفسه، ومع ما يحيط به.[5]

ثالثاً: مفهوم التربية الجماعية:

لغة: الجماعية من جَمَعَ بمعنى ضمَّ، والمصدر "الْجَمْعُ" وهو اسم لجماعة الناس، وَالْجَمَاعَةُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُطْلَقُ عَلَى الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَيُقَالُ لِمُزْدَلِفَةَ جَمْعٌ إمَّا لِأَنَّ النَّاسَ يَجْتَمِعُونَ بِهَا وَإِمَّا لِأَنَّ آدَمَ اجْتَمَعَ هُنَاكَ بِحَوَّاءَ وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ بِهِ، وَقَوْلِ الْمُنَادِي "الصَّلَاةَ جَامِعَةً" بِمَعْنَى عَلَيْكُمْ الصَّلَاةَ فِي حَالِ كَوْنِهَا جَامِعَةَ النَّاسَ، ويُقال لِلْمَسْجِدِ الَّذِي تُصَلَّى فِيهِ الْجُمُعَةُ "الْجَامِعُ" لِأَنَّهُ يَجْمَعُ النَّاسَ لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ أَيْ كَلَامٌ قَلِيل الْأَلْفَاظِ كَثِيرَ الْمَعَانِي.[6]

اصطلاحا: التربية الجماعية عملية بناء الفرد، وفق منهج سليم، من خلال وسط جماعي اتصالي تفاعلي.

المطلب الثاني: ركائز[7] الفردية والجماعية الشرعية:

إن لكلٍّ من الفردية والجماعية ركائز في الشريعة الإسلامية، تتضح من خلال الآتي:

أولاً: ركائز الفردية:

- مبدأ التكليف في الإسلام يتحمله كل فرد بعينه، يقول–سبحانه وتعالى–: {لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة: ٢٣٣]، ويقول– عزّ وجلّ–لنبيه– صلى الله عليه وسلم– ثم لأمته بالاقتداء: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ}[النساء : ٨٤]، ففي مسألة الجهاد فإنك يا محمد تُتَّبع بما تكتسبه دون ما يكتسبه غيرك، وإنما عليك ما كُلِّفته دون ما كُلِّفه غيرك، فالزم القتال، وإن أفردوك وتركوك.[8]
- فرض العَيْن يُطَالَبُ به كل مكلَّف على حدة عند علماء أصول الفقه، ولا يَسقطُ الإثم عن التَّارك له بأداء البعض، لِبقاء التكليف به على التارك له، وفي فرض العين تحقيقِ مصلحة الفرد ورفع شأنه في مجال الأمر المطلوب منه، في حين أن المقصود من فرضِ الْكِفاية حُصُول الفِعل دون النَّظر إلى الفاعِل.[9]
- خاطب الشرع الفرد بِعَيْنه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيه} [الانشقاق: ٦]، قال الشوكاني:

١عوامل التربية الجسمية والنفسية والاجتماعية– محمد سعيد أبو طالب، أنيس رشراش– دار النهضة العربية–٢٠٠١م

٢أصول التربية الإسلامية و أساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع– النحلاوي– ص٢١ ، ٢٧.

٣ينظر: لسان العرب–ابن منظور–٣٣/٣.

٤ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير–الفيومي– (٣ / ٣٢٤). لسان العرب–ابن منظور– (١٥ / ٣٦٤). مفردات غريب القرآن–الأصفهاني – (ص ١٨٢). الْمُغْرِبِ فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرِبِ–المطرزي– (٢٩٩/٢).

٥ينظر: علم النفس التربوي – أبو جادو– ص ٢٥ .

٦ الْمُغْرِبِ فِي تَرْتِيبِ الْمُعْرِبِ–المطرزي–(٣٨٩/١). لسان العرب–ابن منظور– (٥٣/٨).

٧يراد بها الأصول من الشرع التي تستند إليها التربية . وكلمة [ركائز] في اللغة: من مادة (ركز) غرز الشيء منتصباً، وبمعنى تثبيت وإقرار شيئا في شيء. وتجمع على ركائز. ينظر: لسان العرب . ٥/ ٣٥٥. المعجم الوسيط . ١/ ٣٦٩.

٨ جامع البيان في تأويل القرآن–الطبري– ٥٧٩/٨– بتصرف.

٩ ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية–٣٥ /٧.

- " المراد جنس الإنسان، فيشمل المؤمن والكافر، وقيل: هو الإنسان الكافر، والأوّل أولى".[١]
- اعتماد الإسلام مبدأ المسئولية الفردية التخصصية، يقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: "أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"يقول ابن حجر: "دخل في هذا العموم، المنفردُ الذي لا زوج له، ولا خادم، ولا ولد؛ فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات، ويجتنب المنهيات فعلا، ونطقا، واعتقادا، فجوارحه، وقواه، وحواسه رعيته".[٢]
- كل نفس على حِدة مرهونة بعملها، قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ}[المدثر:٣٨]، يقول ابن كثير في معنى الآية: " مُعتقَلة بعملها".[٣]
- أمر الشرع بتعاهد النفس، وتربيتها حتى لا تلاقي الفشل في الآخرة حيث الحياة الأبدية، قال–سبحانه وتعالى–: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا}[الشمس/٧–١٠].
- تقرير الشرع وجود استعداد للاعوجاج عند كل فرد على حدة، لذا لزم تربيته لنفسه، يقول– عزّ وجلّ–على لسان امرأة العزيز[٤]–: {وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف/٥٣].
- الحرص على تحقيق الخير للنفس،عن أَبي هُرَيْرَة–رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال: «... احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ...»[٥].
- امتدح الشرع الفرد المؤدِّب نَفْسَه، قال تعالى:{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات/٤٠، ٤١]، وعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ– رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال:"الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعُ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى الله " قال الترمذي: "معنى من دان نفسه: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة".[٦]
- المراقبة من الله– سبحانه وتعالى– لكل فردٍ بعَيْنه، قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْس}[الرعد/٤٢].
- الحشر يوم القيامة يقع على كل فردٍ، يقول– سبحانه وتعالى–: {وَكُلُّهُمْ آَتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}[مريم:٩٥].
- الخطاب في الآخرة يوجّه لكل نفس بِعَيْنِها، قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي} [الفجر : ٢٧ – ٣٠]، عن عَديّ بن حاتم– رضي الله عنه– أنه قال: قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ... ".[٧]
- الجزاء على الأعمال يكون فرديا يوم الحساب، قال تعالى: {وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ} [ق/٢١]، {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}[البقرة/٤٨]، {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة/٢٨١]،{وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ} [الزمر/٧٠].

ثانياً: ركائز الجماعية:

- خاطب الشرع جماعة المؤمنين في عدد من آيات القرآن، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة : ١٥٣]، وكذلك السنة النبوية خاطبت في الكثير من نصوصها جماعة الناس، عن عُمَرَ ابْنَ الخَطَّاب –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» ".[٨]
- اعتماد الشرع عمل الجماعة بإسقاط وجوبه عن باقي أفراد المجتمع، وهذا في فرض الكفاية، قال تَعَالَى:{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}[آل عمران : ١٠٤]، {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ } [التوبة : ١٢٢]، تَقْتَضِي الآيتان مُخَاطَبًا غَيْرَ مُعَيَّنٍ.
- بارك الشرع البيئة الجماعية، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما أنه قَالَ: خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ

---

١ فتح القدير – (٧ / ٤٥٠)

٢ينظر : فتح الباري– ١١٣/١٣.

٣ تفسير القرآن العظيم–٢٧٣/٤.

٤يرى بعض المفسّرين أن القول منسوب ليوسف–عليه السلام–، ويعرض ابن كثير لأقوال المفسّرين في الآية ثم يرجح أنها لامرأة العزيز، معلّلا ذلك بأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف–عليه السلام– عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك. ينظر:تفسير القرآن العظيم– ابن كثير –٤/ ٣٩٥.

٥ صحيح مسلم– كتاب القدر– صحيح مسلم – باب فِي الأَمْرِ بِالْقُوَّةِ وَتَرْكِ الْعَجْزِ وَالاِسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ وَتَفْوِيضِ الْمَقَادِيرِ لِلَّه– ح٦٩٤٥.

٦ الجامع (سنن الترمذي)– ح٢٤٥٩. قال الترمذي: هذا حديث حسن. المستدرك– ح١٩١. قال السيوطي: أخرجه الحاكم وصححه، وضعفه الذهبي. ينظر: الدرر المنثورة في الأحاديث المشتهرة – (ص ١٥). درجة الحديث عند المحدثين بين الحسن والضعيف، لذا فدرجته: حسن لغيره والله أعلم.

٧ صحيح البخاري – كتاب الرقاق– باب من نوقش الحساب عذب – ح ٦١٧٤.

٨ صحيح البخاري– كتاب الحيل– باب في ترك الحيل وأن لكل امرئ ما نوى في الأيمان وغيرها– ح٦٥٥٣.

- فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ... عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ...."[1] وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ– رضي الله عنها– أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ"[2].
- الاتصال الإيجابي بين جماعة المؤمنين مطلوب في الشرع، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ– رضي الله عنه– أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[3]
- الهدي النّبوي كان اتخاذ الأصحاب، فقد كان– صلى الله عليه وسلم– يعتز بأصحابه، ويوصِى بحسن التقدير لهم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ».[4]
- الاندماج في الجماعة يلبي حاجة من الحاجات الأساسية عند الإنسان وهي الحاجة إلى الانتماء،[5]عن وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ».[6]فالنبي– صلى الله عليه وسلم– يعلن انتماءه لنسب كريم، ويخبر في أحاديث أخرى انتماءه لكل جماعة خير، قال –صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي يرويه أبو هريرة– رضي الله عنه–: «لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ».[7]
- المشاركة في الجماعة يتوافق مع طبيعة الإنسان الخلقية، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بطبيعة اجتماعية، فهو لا يستطيع العيش في عزلة، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٍ}[الحجرات:١٣]، فالتفاعل مع الجماعة حاجة من الحاجات التي فطر الله الإنسان عليها، والفردية المطلقة تنافي الفطرة السليمة.

المبحث الثاني: تحقيق التكامل بين الفردية والجماعية:

المطلب الأول: فوائد التربية الفردية:

تقدّم التربية الإسلامية الفردية جملة من الفوائد، منها:

- إنتاج المبادرات الفردية، فالصحابي الجليل مصعب بن عمير– رضي الله عنه– عمل على تربية نفسه، وبادر ودخل الإسلام رغم رفض البيئة التي يعيش فيها، يقول ابن الأثير: "أسلم ورسول الله– صلى الله عليه وسلم– في دار الأرقم، وكتم إسلامه خوفا من أمه، وقومه، وكان يختلف إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– سراً، فعلِم أهله، وأمه فأخذوه، فحبسوه، فلم يزل محبوسا إلى أن هاجر إلى أرض الحبشة، وعاد من الحبشة إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى؛ ليعلم الناس القرآن، ويصلي بهم".[8]

وفي المقابل فإن غياب المبادرة الفردية، يؤدي إلى عدم الأخذ بالمنهج الصحيح، فقد تحدّث القرآن الكريم عن ابن نوح– عليه السلام– الذي لم يستفد من تربية الأب النبيّ، قال تعالى: {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}[هود:٤٦]، يقول الفخر الرازي: " صلاح الغير لا ينفع المفسد"[9]، والسنة النبوية ذكرت رفض عم النبي– صلى الله عليه وسلم – من الأخذ بالمنهج الصحيح، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ».[10]
- توليد المراقبة الذاتية، قال تعالى: {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ}[القيامة:١٤]، يقول الطبري: "للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به، فهو شاهد على نفسه وحده".[11]
- تقديم نماذج خير مخالفة لمحيطها السلبي، قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ

١الجامع(سنن الترمذي)– كتاب الفتن– باب لزوم الجماعة– ح ٢١٦٥. قال الترمذي: حسن صحيح.

٢المصدر السابق –ح٢١٦٦–، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.إذن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

٣ صحيح مسلم – كتاب البر و الصلة والأدب – باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم و تعاضدهم – ح ٦٧٥١.

٤ صحيح مسلم – كتاب الفضائل– باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم– ح ٢٥٤٠.

٥ أهداف التربية الإسلامية–الكيلاني– ص ٣٥٦.

٦ صحيح مسلم– كتاب الفضائل– باب نسب النبي–صلى الله عليه وسلم– ح٢٢٧٦.

٧ صحيح البخاري– كتاب مناقب الأنصار– باب قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: لولا الهجرة لمنت امرءا من الأنصار– ح ٣٧٧٩.

٨ينظر: أسد الغابة – ص ١٠١٦.

٩ مفاتيح الغيب – (ج ١٥ / ص ٣٩٠)

١٠ صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب صفة الجنة و النار – ح ٦١٩٦

١١ ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن–٦٢،٦٣/٢٤.

لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [التحريم : ١١]، الآية تحدثت عن امرأة قامت على تربية نَفْسها، فاتخذت معتقَداً صحيحاً مخالفاً لمعتقد جماعتها، قال الشوكاني: " صولة الكفر لا تضرّ، كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بإيمانها بالله في جنات النعيم".[١]

وفي المقابل فإن غياب التربية الفردية السليمة يؤدي إلى غياب التفاعل الصحيح مع المحيط الإيجابي، قال تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ }[التحريم:١٠]، فبالرغم من أن زوجي نوح ولوط– عليهما السلام– كانتا في وسطٍ صحيح، إلا أنهما لم تقوما على تربية نفسيهما التربية الفردية السليمة، فكانت النتيجة الخسران.

والسنة النبوية تحدثت عن عبد الله بن أبي بن سلول، وغيره من الأفراد الذين وُصفوا بالنفاق في عصر التربية النبوية السليمة، عن أبي سعيد الخدري–رضي الله عنه–أنه قال: "إن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، كان إذا خرج رسول الله–صلى الله عليه وسلم– إلى الغزو تخلفوا عنه ..."،[٢] وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ، قَالَ: «إِنَّ المُنَافِقِينَ اليَوْمَ شَرٌّ مِنْهُمْ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانُوا يَوْمَئِذٍ يُسِرُّونَ وَاليَوْمَ يَجْهَرُونَ»[٣].

- فرز المواقف المتميزة والجريئة، وقد عُرِف النبي– صلى الله عليه وسلم– الذي ربّاه– سبحانه وتعالى– تربية خاصة، بمواقفه المتقدمة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ»، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاجِعًا، وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ وَهُوَ يَقُولُ: «لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا»[٤]، دلَّ الحديث على أن الرسول– صلى الله عليه وسلم– سبق إلى استطلاع الأمر .
- تقديم مشورات فردية مسدّدة، فعنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ أُنَاسًا نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَجَاءَ عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا بَلَغَ قَرِيبًا مِنَ المَسْجِدِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا إِلَى خَيْرِكُمْ، أَوْ سَيِّدِكُمْ». فَقَالَ: «يَا سَعْدُ إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ». قَالَ: فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، قَالَ: " حَكَمْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ، أَوْ: بِحُكْمِ المَلِكِ "[٥]
- عرض الجديد المتميّز، فالصحابة الذين هم نتاج التربية النبوية، يتقدمون بمبادرات فردية، ويثني عليها النبي–صلى الله عليه وسلم– من ذلك فكرة حفر الخندق التي جاء بها سلمان الفارسي–رضي الله عنه– فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– أنه قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ، فَلَمَّا قَرَأَ: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة: ٣] قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ: وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ قَالَ: فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ».[٦]

إذن التربية الفردية تعدّ من أدق أنماط التربية، ومن فوائدها أنه يُتدارك بها سلبيات المربِي وقصوره ، فضعف المربَي في بعض الحالات يمكن الاستعاضة عنه ببذل الجهد الفردي، والاعتماد على النفس في التربية، ومن إيجابياتها أنها تعمل بشكل فعال على اكتشاف الأخطاء ومعالجتها، ذلك أن الفرد يعرف عيوبه، ويستطيع إذا أخذ قرار التصويب أن يُحدِث في نفسه تغييراً سريعاً، بخلاف الجماعية التي يضيع معها أحياناً دقة تتبع أخطاء أفراد الجماعة، ثم إنها سبيلٌ للتحكم بالنَفْس، ولرفعها إلى المرتبة التي شرفها الله بها، يقول ابن مسكويه: " شبَّه الحكماء من أهمل سياسة نفسه العاقلة برجل معه ياقوتة حمراء شريفة من الذهب والفضة، فرماها في النار حتى صارت كاسا لا منفعة فيها فخسرت منافعها، وكذلك النفس العاقلة إذا عرفت شرفها، وأحست بمرتبتها من الله –عز وجل– أحسنت تربية نفسها وسياستها".[٧]

المطلب الثاني: فوائد التربية الجماعية:

للتربية الإسلامية الجماعية جملة من الفوائد، منها:

- المحافظة على الالتزام بمنهج الوسط والاعتدال، لأنها في توجيهها لأفراد الجماعة ستراعي كافة القدرات، بخلاف الفردية التي تعتمد على قدرة الفرد، وهذا كان المنهج النبوي في حال

١فتح القدير – (٧ / ٢٥٩).

٢صحيح البخاري – كتاب التفسير – سورة آل عمران – ح ٤٢٩١

٣صحيح البخاري– كتاب الفتن– بَابُ إِذَا قَالَ عِنْدَ قَوْمٍ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ بِخِلاَفِهِ – ح ٧١١٣.

٤ صحيح مسلم– كتاب الفضائل– باب في شجاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– وتقدمه للحرب– ح ٦١٤٦.

٥ صحيح البخاري– كتاب مناقب الأنصار– باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه– ح ٣٤٠٨..

٦صحيح مسلم– كتاب فضائل الصحابة– باب فضل فارس– ح ٢٥٦٤.

٧تهذيب الأخلاق – ص ١٩.

تجمع الأفراد، من ذلك ما رُوي أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلاَةِ الغَدَاةِ مِنْ أَجْلِ فُلاَنٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ».[1]

- الدفع نحو الاضطراد، والاستمرارية؛ لأن المجموع سيدفع نحو الاستمرار، بخلاف الفردية التي تعتمد على مدى قوة و الفرد إرادته في الاستمرار في تربية نفسه، ومن أجل ذلك كان حثّ النبي – صلى الله عليه وسلم– على الثبات مع الجماعة مخافة فتور الواحد، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ– رضي الله عنه– أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةِ نَفَرٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ»[2].
- الكشف عن الفروق بين أفراد الجماعة، فقد تحدثت السنة النبوية عن تفاوت تلقّي الأفراد للنور الذي أتاهم من ربّ العالمين– جلَّ وعلا– عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ[3] أَمْسَكَتْ الْمَاءَ؛ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ[4] لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ، وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ". [5]قال النووي: "في الحديث تمثيل الهدى الذي جاء به صلى الله عليه وسلم بالغيث، والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس"،[6]
- اتخاذ نماذج إيجابية من بيْن أفراد الجماعة قدوات لهم، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ– رضي الله عنه– أنه قال: قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ»[7]، وعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَهْلِ نَجْرَانَ: «لَأَبْعَثَنَّ، يَعْنِي عَلَيْكُمْ، يَعْنِي أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ» فَأَشْرَفَ أَصْحَابُهُ، فَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه.[8]
- مراعاة المصلحة العامة، فنجاح المجموع لا يتحقق إلا بالعمل بروح الفريق الواحد، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا، وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ؛ فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي، وَلَا بُدَّ لِي مِنْ الْمَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ، وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ، وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ".[9] فقد بيَّن النبي–صلى الله عليه وسلم– أن عدم تقويم خطأ الفرد يأتي بالشر للجماعة.

بعد هذا يمكن القول: إن عملية التربية الجماعية تحمل عددا من الفوائد، فمن خلالها يتعلم الأفراد جملة من الأخلاق، والآداب اللازمة للمشاركة مع الجماعة، كآداب الأخوة والتعاون، والإيثار، والتضحية، والصبر على جفاء الآخرين، ويتم قياس الكفاءة الفردية، ذلك أن من إحدى الوسائل في قياس الكفاءة الفردية هي المقارنة بالآخرين، ويتحصل من خلالها الاستفادة من خبرات الآخرين، ويدرك عبرها أن هناك حقوقا وواجبات يجب أن تُراعى، ويستشعر أفرادها الأمن والقوة، ويتسنى اكتشاف الأفراد داخل الجماعة لأخطائهم، ومن ثم تقويمها، بخلاف الأفراد المنعزلين الذين يقعون في حالة الاستمرار في الخطأ، ويكتسب الأفراد أدوارا يقومون بها، ويتعلمون كيف يتقنون متطلبات كل دَوْر، يقول الدكتور علي وطفة: " سلوك الفرد ينتظم في سلسلة من الأدوار الاجتماعية التي يمارسها في إطار حياته الاجتماعية، كدور الأب، و دور المعلم، و دور الموظف، و دور الشاب، و غيرها من الأدوار".[10]

---

١ صحيح البخاري– كتاب الأذان– باب تخفيف الإمام – ح ٧٠٢.

٢السنن– أبو داود– كتاب الصلاة– باب في التشديد في ترك الجماعة– ح٤٥٧. وسكت عنه. المستدرك– الحاكم– قال: حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ . قال الذهبي: صحيح.

٣ معنى أجَادب : صِلاَب الأرض الَّتي تُمْسِك الماء فلا تَشْرَبُه سريعا . وقيل هي الأرض التي لا نبَات بها مأْخُوذٌ من الجَدْب وهو القحْط. النهاية في غريب الأثر – (١ / ٦٩٨).

٤القيعان :جمع قاعٍ، والقاعُ أرضٌ حرَّةٌ لا رَمْلَ فيها ولا يَنْبُتُ فيها الماء لاستوائها ولا غُدُر فيها تمسك الماء فهي لا تُنْبِتُ الكلأَ ولا تُمْسِك الماء. غريب الحديث لابن الجوزي – (٢ / ٢٧٤).

٥ صحيح البخاري – كتاب العلم – باب فضل من علم وعلم – ح٧٩

٦ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج– ١٥/٤٧.

٧صحيح البخاري– كتاب المناقب– باب مناقب أبو عبيدة عامر بن الجراح–رضي الله عنه–ح ٣٧٤٤

٨المصدر السابق– ح ٣٧٤٥

٩ صحيح البخاري–كتاب الشهادات–باب القرعة في المشكلات–ح٢٥٤٠–من رواية النعمان بن بشير–رضي الله عنهما–.

١٠ علم الاجتماع التربوي و قضايا الحياة التربوية المعاصرة – ص١١٧–١١٨.

المطلب الثالث: التكامل بين الفردية والجماعية:

حين نرقب التربية في العهد النبوي، فإننا نلحظ أنها سارت في المسارين، الفردي والجماعي، ولم يكن المساران متباعدين، بل تحقّق فيهما التكامل، ونعرض فيما يأتي لبعضٍ من معالم التكامل:

- التربية للنبي–صلى الله عليه وسلم–كانت بين الفردية والجماعية، فالخطاب القرآني للنبي– صلى الله عليه وسلم – تنوع بين الفردية والجماعية، ففي عدد من الآيات خاطبه سبحانه وتعالى بقوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ }، [التوبة: ٧٣]، وطلب سبحانه وتعالى أن يقوم على تربية نفسه، من ذلك قوله تعالى {قُمِ اللَّيْلَ} [المزمل: ٢]، وطلب منه سبحانه وتعالى أن يحيط نفسه بوسط جماعي طيب، فقال: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ } [الكهف: ٢٨].
- التوجيه لأفراد الأمة جماعي فردي، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[المائدة/١٠٥]، الخطاب القرآني موجّه لمجموع الأفراد، ولكل فردٍ بذاته، لاختيار المنهج الصحيح، قال الفخر الرازي: "معنى الآية: احفظوا أنفسَكم من ملابسة المعاصي".[١]
- التربية النبوية للصحابة– رضوان الله عليهم– تنوعت بين الفردية والجماعية، فتربية النبي –صلى الله عليه وسلم– لصحابته رضوان الله عليهم بدأت بأفراد، فأول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علي، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد[٢]، ثم أخذت مع الفردية شكلا جديدا، وهو الجماعية، قال تعالى: {فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»[الحجر/٩٤]، وقال سبحانه: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}[الشعراء/٢١٤].
- العبادات تنوعت بين الفردية والجماعية، فالعبادات التي فيها أرقى تربية للنفس، تنوعت بين الفردية والجماعية، فالصلاة كما على المسلم أن يؤديها فرض عين منفردا، فإن الشرع طلب أن تكون في بعض الحالات في وسط جماعي، ورغّب في ذلك، عَنِ ابْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ « صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَرد بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ».[٣]

بل إن عددا من العبادات لا تتحقق إلا بالاتصال بالآخر، كصلاة الجمعة، والعيدين، والحج، والعمرة، وتعلم القرآن مثلاً لا يتم إلا بالتلقي من شيخ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو– رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اسْتَقْرِئُوا القُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ، مِنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَأُبَيٍّ، وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ».[٤]

- التدرج من الفردية إلى الجماعية في موضع واحد، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ، وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}[التحريم:٦]، فقد بدأ– الخطاب القرآني الأمر بتعاهد النفس، وتربيتها لتتقي العذاب في الآخرة، ثم انتقل إلى الأهل، ويقول الشوكاني: " قوا أنفسكم، وأهليكم بالأدب الصالح النار في الآخرة".[٥]
- سريان الإيجابية من الفرد إلى الجماعة، فمن ذلك ما قام به الصحابي من الأنصار من المبادرة في تقديم الصدقة العلنية، والذي تتابع الناس من بعده بالتقديم، عن جَرِير بن عبد الله– رضي الله عنه– أنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– في صَدْرِ النَّهَارِ، قَالَ: فَجَاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ ...فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– لِمَا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ ... فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ...، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا ...ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ، وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–:« مَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شيء، وَمَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شيء ».[٦]
- الجماعية مع التقييم والنقد الفردي، واختيار الأقوم، فالسُّنَّة رعت حاجة الإنسان إلى الاجتماع بالآخر، ووجهته نحو المخالطة الإيجابية، لكن طلبت منه اليقظة، ودوام تقييم مدى

---

١ {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}: تقول العرب: عليك وعندك ودونك ، فيعدونها إلى المفعول، ويقيمونها مقام الفعل، وينصبون بها. وجاء في سبب نزول الآية: عن ابن عباس أن النبي–صلى الله عليه وسلم– لما قبل من أهل الكتاب الجزية، ولم يقبل من العرب إلا الإسلام أو السيف ، غَيّر المنافقون المؤمنين بقبول الجزية من بعض الكفار دون البعض. ينظر: مفاتيح الغيب–١٧٩/٦.

٢ السيرة النبوية– ابن هشام– ص ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩.

٣ صحيح مسلم– كتاب المساجد– باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها – ح ١٥٠٩.

٤صحيح البخاري– كتاب مناقب الأنصار–باب مناقب معاذ بن جبل رضي الله عنه – ح ٣٨٠٦.

٥ينظر : فتح القدير – ٧ / ٢٥٧

٦ صحيح مسلم– كتاب الزكاة– باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار– ح٢٣٩٨.

إيجابية الوسط، عن أبي موسى الأشعري– رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: " مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوْءِ، كَمَثَلِ صَاحِبِ الْمِسْكِ وَكِيرِ الْحَدَّادِ، لَا يَعْدَمُكَ مِنْ صَاحِبِ الْمِسْكِ إِمَّا تَشْتَرِيهِ أَوْ تَجِدُ رِيحَهُ، وَكِيرُ الْحَدَّادِ يُحْرِقُ بَدَنَكَ أَوْ ثَوْبَكَ أَوْ تَجِدُ مِنْهُ رِيحًا خَبِيثَةً ".[1]

وما روي عن حذيفة بن اليمان–رضي الله عنه–أنه قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–:"لا تَكُونُوا إِمّعةً[2] تَقُولُونَ إِن أَحْسَنَ النّاسُ أَحْسَنّا، وإِن ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطّنُوا[3] أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا"،[4] في الحديث: إشعار بالنهي عن التقليد المجرد حتى في الأخلاق فضلاً عن الاعتقادات والعبادات.[5]

وبعد هذا البيان لخصائص كل من التربية الفردية والجماعية، فإننا نستطيع الوصول إلى نتيجة مفادها: أن التربية السليمة المتوازنة الناجحة، لابد أن تسير بخطين متوازيين، للاستفادة مما سبق إيضاحه من خصائص كلتا التربيتين، وقد اعتمدت التربية الإسلامية منهج تحقيق التكامل بين الفردية، والجماعية في التربية، وعدم إقصاء أيٍّ منهما، ذلك أن كلا النمطين يجمع من الخصائص ما يميزه عن الآخر، واعتماد أحدهما، وترك الآخر يؤدي إلى فقد التوازن في التربية، ومن ثم عدم نجاحها، يقول الدكتور محمد منير مرسي: "إن من خصائص التربية الإسلامية أنها تربية فردية واجتماعية معاً، إذ أنها تقوم على تربية الفرد تربية ذاتية؛ ليكون مصدر خير لجماعته، والتربية الاجتماعية تبدأ منذ النشأة الأولى للطفل في الوسط الأسري الاجتماعي".[6]

الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة التي تألّفت من مقدمة، ومبحثين، فإنه يمكن تسجيل الآتي:

النتائج:

- إن للتربية الفردية والجماعية ركائز في الشرع.
- تجمع كلّ من الفردية والجماعية خصائص إيجابية تميزها عن الأخرى.
- الأخذ بواحد من الفردية أو الجماعية، وترك الآخر يؤدي إلى فقد التوازن في التربية، ومن ثم عدم نجاحها.
- اعتماد التربية الإسلامية منهج تحقيق التكامل بين الفردية والجماعية في التربية، وعدم إقصاء أيٍّ منهما.

التوصيات:

- توصية **للقائمين** على العملية التربوية:
  - الأخذ بمنهج التكامل بين الفردية والجماعية في التربية.
- توصية **للمُتَربِّين:**
  - السير في اتجاهين لتحقيق النجاح في التربية، التربية الداخلية أي تربية أنفسهم، والاستعانة بالتربية الخارجية الجماعية.

أهم المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري ت٦٣٠هـ– أسد الغابة في معرفة الصحابة– دار إحياء التراث العربي– بيروت.
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت٦٠٦هـ– النهاية في غريب الحديث والأثر– تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، محمود محمد الطناحي–المكتبة العلمية – بيروت–١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.
- الأصفهاني، الحسين بن محمد الراغب ت٥٠٢هـ– مفردات ألفاظ القرآن– تحقيق صفوان داوودي– دار القلم"دمشق"–الدار الشامية" بيروت"–ط٢–١٤١٨هـ١٩٩٧م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله ت٢٥٦هـ – الأدب المفرد– تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي– دار البشائر الإسلامية – بيروت– ط ٣ – ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩.
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، أبو عبد الله ت٢٥٦هـ– الجامع الصحيح – تحقيق وتعليق د.مصطفى البغا–دار ابن كثير، اليمامة– بيروت– الطبعة الثالثة–١٤٠٧هـ١٩٨٧م.
- بركات، لطفي– الموسوعة التربوية– مكتبة النهضة المصرية– القاهرة–٢٠٠٥م.
- الترمذي، – الجامع– تحقيق بشار عواد– الطبعة الثانية– دار الجيل– بيروت–١٩٩٨م.
- أبو جادو، د.صالح محمد –علم النفس التربوي– دار المسيرة–عمان–الأردن– الطبعة الخامسة–٢٠٠٦م.

---

١ صحيح البخاري – كتاب البيوع –باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف – ح ١٩٩٥.

٢الإمعة: الذي لا رَأي له فهو يُتابع كل أحد على رَأيه والهاء فيه للمبالغة، وقيل هو الذي يتبع كلَّ ناعقٍ ويقول لكل أحد: أنا معك؛ لأنه لا رأي له يرجع إليه. الفائق في غريب الحديث والأثر– الزمخشري– ص ١٦.النهاية في غريب الأثر – (١ / ١٦٤).

٣ وطنوا: التوطين وهو العزم والجزم على الفعل أي عزموا أنفسكم على إن أحسن الناس أن تحسنوا أي فعليكم أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا ، ومعنى الحديث أوجبوا على أنفسكم الإحسان بأن تجعلوها وطنا للإحسان. ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (١٤ / ٤٤٦).

٤ الجامع (سنن الترمذي)–ح ٢٠٠٧–حكم الترمذي على الحديث بأنه: حسن غريب.

٥ ينظر: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي– ٦ / ١٤٥.

٦التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية– ص ٦٩.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي ت٨٥٢هـ- فتح الباري شرح صحيح البخاري- تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، محب الدين الخطيب- ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي-دار الفكر.
- الرازي، فخر الدين ت٦٠٦هـ – مفاتيح الغيب من القرآن الكريم – دار إحياء التراث العربي.
- ابن سيده ت ٤٥٨هـ- المحكم والمحيط الأعظم-تحقيق عبد الحميد هنداوي- دار الكتب العلمية- منشورات محمد بيضون-الطبعة الأولى-بيروت-لبنان -١٤٢١هـ٢٠٠٠م.
- الشوكاني ت١٢٥٠هـ،- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- الطبري، أبو جعفر ابن جرير ٣١٠هـ – جامع البيان في تفسير القرآن – تحقيق أحمد شاكر- مؤسسة الرسالة-الطبعة الأولى- ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- ابن فارس، أحمد أبو الحسين ت٣٩٥هـ- معجم مقاييس اللغة – تحقيق عبد السلام هارون- دار الجيل- الطبعة الأولى- بيروت- ١٤١١هـ١٩٩١م.
- الفيروزآبادي ت٨١٧هـ- القاموس المحيط -ضبط و توثيق: يوسف البقاعي-دار الفكر-١٩٩٥م.
- ابن كثيرت٧٧٤هـ – تفسير القرآن العظيم – تحقيق سامي سلامة – دار طيبة للنشر و التوزيع – ١٩٩٩م.
- الكيلاني، ماجد عرسان- أهداف التربية الإسلامية- دار القلم -الطبعة الأولى- الإمارات – دبي- ٢٠٠٥م.
- المباركفوري ت١٣٥٣هـ- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي- تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف- الطبعة الثانية- المدينة المنورة-١٩٦٣م.
- مرسي، محمد منير- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية- دار الكتب- الطبعة الثالثة-القاهرة-١٩٩٣م.
- مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، أبو الحسين ت٢٦١هـ- الجامع الصحيح- دار الجيل بيروت ، دار الآفاق الجديدة . بيروت.
- ابن منظور، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ – لسان العرب- دار الحديث- القاهرة -٢٠٠٣م.
- الموسوعة الإلكترونية الشاملة – الإصدار الثاني.
- النحلاوي، عبد الرحمن- أصول التربية الإسلامية و أساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع- دار الفكر- الطبعة الثانية- ١٩٨٣م.
- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية،١٩٨٨- الموسوعة الفقهية الكويتية- ذات السلاسل- الطبعة الثانية -الكويت.
- وطفة، علي- علم الاجتماع التربوي وقضايا الحياة التربوية المعاصرة – مكتبة الفلاح- الطبعة الثانية- الكويت.